

## اتجاهات بریم تشاند السياسية في مجموعة القصص

### "سوز وطن" (آلام الوطن)

سجاد أحمد زرغر<sup>1</sup>

#### ملخص

نشأت القصة القصيرة في الشبه القارة الهندية عندما كانت البلاد تترجح تحت وطأة الاستعمار وكان الصراع السياسي الثقافي يستمر عبر البلاد كما أن الشعب الهندي الذي يسكن القسط الأوفر منه في الريف، كان يعاني بالتخلف والاستغلال. تأثر بریم تشاند بالمناخ السياسي والثقافي في عصره كما قرأ قصص أعلام الأدب العالمي مثل تولستوي وتشيكوف فألف قصصا محتوية على الموضوعات التي تهم الشعب، فلا تعكس قصصه الصراعات السياسية والثقافية فحسب، بل هي تقدم نماذج إيجابية للإصلاح والثورة، فمجموعة قصصه الأولى "سوز وطن" (آلام الوطن) تمثل هذه الاتجاه، سأحاول في هذه المقالة أن ألقى الضوء على جوانب مختلفة لهذه القصص.

يعد بریم تشاند أهم وأكبر كاتب القصص القصيرة للأدب الأردني الذي جعل قصصه وسيلة فعالة لتقديم الی القراء أحداثا سياسية واجتماعية بطريقة مقنعة ولتصوير صورة حية صادقة للرسوم والعادات الاجتماعية المسيطرة على الحياة الهندية في منتصف الأول من القرن العشرين، وكان كاتبًا عالميًا اطلع على الأعمال الأدبي العالمي لجميع أفضل كتاب القصص القصيرة في العالم عامة والأدب الروسي خاصة، وترجمت أعماله إلى العديد من لغات العالم، فقد أتقن فن الرواية والقصة القصيرة حتى سيطر بفضله على معاصريه، فاعترف الجميع بأنه أفضل كتاب القصة في

<sup>1</sup> باحث الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة كشمير، سري نغر

الأردية، مر بمراحل عديدة على طريقه الفني الأدبي حتى وصل إلى مكانة مرموقة.

كان بریم تشاند في إبداعاته مليئًا بالمشاعر الإنسانية والرحمة، فقد كان يطالع نتاج الأدباء الذين كانوا يركزون على الجوانب المشرقة والحسنة للإنسانية مثل تشيخوف وتولستوي وطاقور. إنه يعترف بنفسه بأنه كان معجبًا بقصص هؤلاء الأدباء خلال حوار ألقاه معه الكاتب الهندي البارز داس تشاترجي البنارسي<sup>1</sup>.

بدأ بریم تشاند حياته الأدبية بمجموعة القصص "سوز وطن" (آلام الوطن) في سنة ١٩٠٨م كما ذكرت أنفًا، وكانت المجموعة محتوية على قصص رومانسية و تاريخية تعبر عن حبه للوطن وروح الاستقلال من سيطرة الإنجليز، ثم اتجه بعد ذلك إلى كتابة القصة الاجتماعية الواقعية، وركز على موضوعات خاصة بالطبقة المتوسطة، فنقد عادات المجتمع الهندي الفاسدة، فشملت قصصه قضايا خاصة بالبيئة الهندوسية والبيئة المسلمة على حد سواء، مثل قضية زواج الأراذل وزواج الصغار وكذلك تناول قضية الفلاحين الذين كانوا يزرعون الأراضي الهندية دون أن يكونوا مالكيها ويتحملون المشقات وأعباء القروض طوال حياتهم، والعلاقات بين الزوجة وحماتها وبين السادة ومخدوميهم، وقام بریم تشاند بالدفاع عن طبقة المنبوذين داخل المجتمع الهندي.

وهذه المجموعة تعبر بطريقة فعّالة عن المشاعر والأفكار الصافية للوطنية والحرية، لأنه في بداية القرن العشرين كانت البلاد تعاني من عالقة في العبودية، في ذلك الوقت كان كل هندي يعيش في بيئة سياسية سيئة، وفي مثل هذه البيئة استعاد بریم تشاند وعيه، ومع مراعاة البيئة الاجتماعية والسياسية للهند، فقام كفنان وكاتب حساس ملقيًا الضوء على هذه القضايا في مجموعة من القصص مثل "آلام الوطن".

لا تعكس هذه الكتابات عقل بریم تشاند وطبيعة فحسب، بل تصوّر أيضًا

---

<sup>١</sup> د. قمر رئيس، "بریم چند کے نمائندہ افسانے" (أقاصيص بریم تشاند البارزة)، المطبع ايم- اے

الظروف السياسية والاجتماعية السائدة، وفي نفس الوقت يظهر شعور جديد، ووعي جديد، وكذلك لا تظهر هذه المجموعة من القصص حب بریم تشاند لوطنه وعامة الناس الذين يعيشون فيه فحسب، بل أخذ هذه المشاعر بجدية وجعلها وسيلة لخدمة الوطن والأمة، كما عبّر عنه في مقدمة "آلام الوطن" هو كما يلي:

"إن بلادنا بحاجة ماسة إلى كتب ترسم الآن صورة لعظمة الوطن على كبد الجيل الجديد".<sup>1</sup>

وهي المجموعة التي تشتمل على خمس القصص القصيرة، أما عناوين قصص هذه المجموعة فهي "دنياكا سب سے انمول رتن" (أثمن الشيء في العالم) و "شيخ مخمور" (الشيخ مخمور) و "بهی میرا وطن ہے" (هذا هو وطني) و "صله ماتم" (أجر الألام) و "عشق دنیا اور حُبِ وطن" (عشق الدنيا وحب الوطن). والظروف السياسية السائدة في المجتمع الهندي قبل الاستقلال كانت هي موضوعاته، وفي هذه المجموعة صور الكاتب المشاعر والأفكار الصافية عن الوطنية والحرية تصويراً حيويًا، من اسم هذه مجموعة القصص الأولى يمكن فهم حالة قلبه وألمه الحقيق فهِمًا جيدًا.

تستند القصة الأولى للمجموعة "أثمن الشيء في العالم" إلى شوقه للحرية، ففي هذه القصة صور أهمية حرية الوطن ولفت انتباه الشعب الهندي بأن روح الحرية يجب أن تكون في قلب كل إنسان، يأتي بطل القصة "دِلْفَجَار" إلى بلاط "الملكة دِلْفَارِب" بأخر قطرة دم من صدر جندي أثناء وفاته في ساحة المعركة وقدمها في خدمة الملكة وتقبل هذه الهدية الثمينة بمحبة واحترام، في هذه المناسبة عبر بریم تشاند عن شغفه بالحرية بكلمات "الملكة ديلفارب" قائلاً:

"يا محب الحياة! من اليوم أنت سيّدي وأنا خادمك التافهة لأن آخر

---

1. د. على أحمد فاطمي، "بريم تشاند- بریم تشاند نئے تناظر میں" (بريم تشاند- في وجهة النظر الجديدة)، ص: ١٧٦.

قطرة دم تسقط في حماية الوطن هي أعلى في العالم منذ اليوم "١.  
والقصة الثانية من هذه المجموعة "الشيخ مخمور" تحتوي أيضًا على مشاعر  
الوطنية، في هذه القصة هناك التعبير عن الرغبة في الحرية والشعور بالنضال  
والشجاعة لكسر قيود العبودية يتجلى هذا في الحوار التالي يخاطب فيها الأمير مسعود  
جنوده بزي الشيخ محمود قائلاً:

"أنتم تعلمون أن العدل والحق سيسودان - أمسكوا السيوف بأيديكم  
واهجموا على الأعداء باسم الله، إنما بوادر جباهكم ترجى لنا أن الفتح  
لكم"٢.

فالشباب أمير وطني ضحي بأمرته من أجل حب بلاده وحارب من أجل الوطن  
كجندي عادي وقاد جنود بلاده لزيادة حماسهم.

القصة الثالثة لهذه المجموعة "يهي ميروا وطن به" (هذا هو وطني) مليئة بالألم  
الوطني والعاطفة للحرية، وهي قصة رجل هندي يحب بلاده ويودع وطنه في الثلاثين  
من عمره ويغادر إلى أمريكا. كان لديه كل من وسائل الراحة في أمريكا ولكنه لم يزل حب  
الوطن يطاردته فكان من وُدّه أن تنتهي حياته في الهند الحبيبة وبعد ستين سنة يعود  
إلى وطنه إذ كان عمره تسعين عامًا، لكنه عندما يري هجوم الحضارة الحديثة من  
جميع الجهات على وطنه فيصرخ:

"ليس هذا بلدي الحبيب، لم أت حتى الآن لأرى هذا البلد، هذه دولة  
أخري، ليس بلدي الحبيب"٣.

في حالة من اليأس بعد أن رأى هذا النوع من المواقف، وصل أخيراً إلى ضفاف نهر  
"غانغا" حيث يشاهد ثقافته الهندية المفقودة والمحبة فيستمتع بلقاء الناس في

---

١. بريم تشاند: "سوز وطن" (آلام الوطن)، إله آباد، الطبع الثالث ١٩80م، ص: 31.

٢. نفس المصدر، ص: 33.

٣. بريم تشاند: "سوز وطن" (آلام الوطن)، إله آباد، الطبع الثالث ١٩٨٠م، ص: 36.

مجتمعه، فيغوص في نهر "غانغا" ثم يجد ثقافته وحبه ويحقق هدفه في القدوم إلى الهند، بعد ذلك يترك وراءه كل شيء وهناك يقضي الأيام الأخيرة من حياته في بيت صغير بناه. ويحكي دكتور فردوس أنور عن هذه القصة قائلاً:

"بُذلت محاولات قوية لإظهار حب الوطن والتعبير عن الكراهية التي استقرت على حياة الهند في ظل السيطرة البريطانية ونتائج الوخيمة"<sup>١</sup>.

القصة الخامسة والأخيرة في هذه المجموعة هي "عشق دنيا اور حب وطن" (عشق الدنيا وحب الوطن) يترشح رسالة حب الوطن من عنوانها، تحتوي القصة على بضع صفحات تاريخية من الحياة "ميزاني" الوطني الإيطالي الشهير وقد رتبها بدقة وقدمها في شكل القصة أحسن تقديمًا، احتل الأعداء إيطاليا موطن "ميزاني" كما كانت الهند تحت الاحتلال البريطاني. ويحكي أ. د. على أحمد فاطمي عن هذه القصة قائلاً:

"من حيث الهدف والفن، هذه القصة هي قصة فريدة من نوعها لهذه المجموعة"<sup>٢</sup>.

في كل القصص من هذه المجموعة ما عدا قصة هي "صله ماتم" (أجر الأم) تتجلى التحمس الحقيقي لمحيي الوطن فنظر إلى حرية الوطن بعاطفة صادقة. أمر حكام ذلك الوقت بمصادرة هذه المجموعة بالنظر إلى الموقف السياسي للوطنية فيها. وتظهر أهمية هذه القصص أيضًا من خلال الشجاعة والجرأة التي نشر بها دون الاهتمام بأي شيء.

إن سمات الفكر السياسي والأدبي لبريم تشاند واضحة في قصص هذه المجموعة، فعلى الرغم من أن اللون الأسطوري والرومانسي يسود في هذه القصص ولكنه مع بعض الإيماءات والإشارات يروي تاريخ العبودية في بلاده ويوقظ الشعور القومي في

---

<sup>١</sup> د. فردوس أنور قاضي، اردو افسانه نگاری کے رجحانات (اتجاهات الكتابة القصصية الأردية)، مكتب عالية، لاهور، الطبعة الأولى ١٩٩٠م، ص: ١٠٩.

<sup>٢</sup> أ. د. على أحمد فاطمي، بریم تشاند نئے تناظر میں (بریم تشاند- في وجهة النظر الجديد) تخليق كار بيلشرز، دلهي ١١٠٠٩٢، ص: ١٦٤.

قلوب الناس، وكان يريد أن ينشأ في نفوس الناس روح تحرير البلاد، التي تمثل لها هذه المجموعة القصصية مرآة لتلك الحقائق.

رغم أن هذه المجموعة من القصص لم تصل إلى أعلى المستويات من حيث الفن واللغة والأسلوب لكنها من حيث الفكر مرآة للحياة السياسية والاجتماعية التي لا يمكن لأحد أن يختلف عنها، ومن خلال الحكايات عن الراجبوت<sup>١</sup> في هذه المجموعة يثبت بریم تشاند أنه يمكننا النضال من أجل حرية الوطن ولدينا روح الحرية.

ما زالت جميع الحركات السياسية في الهند مستمرة على قدم وساق في زمن بریم تشاند، هذا هو سبب وجود مزيج من اللون السياسي في قصصه، سواء أكانت الرواية أو القصة فقد كان مهتمًا بالقضايا الاجتماعية والسياسية في عصره، تمثلت قصصه أكبر قدر من المناخ السياسي في البلاد، هذا هو السبب أنها تحتوي الوعي السياسي والاجتماعي في البلاد، يقول د. عبادت بريلوي عنه:

"لقد لاحظ الحركات السياسية والاجتماعية في عصره وكان في طليعة تفسيرها وتفكيرها، هذا هو السبب أن جميع صور الحياة الاجتماعية للهند في عصره يمكن رؤيتها في قصصه"<sup>٢</sup>.

الحقيقة أن بریم تشاند كان ذا حس مرهف ومعرفة واسعة فتمكن فعقله الواعي وإدراكه العالي من أن يقوم بتسجيل البيئة السياسية والاجتماعية في قصصه وأيضًا أن يؤدي دور المصلح.

---

١. حكم الراجبوت شبه القارة الهندية لفترة طويلة (القرن السابع إلى القرن الثاني عشر الميلادي) بسبب فضائلهم، وكانوا صادقين في أقوالهم وأفعالهم، ماهرين في استخدام السيوف، وخاطروا بحياتهم لإنقاذ شرفهم.

٢. د. عبادت بريلوي، "افسانه اور افسانے کی تنقید" (القصة ونقد القصة)، ناظم إدارة أدب وتنقید، لاہور، ۱۹۸۴م.

## المصادر والمراجع

۱. د. قمر رئیس، "پریم چند کے نمائندہ افسانے" المطبع ایم- اے پرنٹرس دہلی، ص: ۱۰.
۲. د. علی أحمد فاطمی، "پریم تشاند- پریم تشاند نئے تناظر میں" ص: ۱۷۶.
۳. پریم تشاند: "سوز وطن" إله آباد، الطبع الثالث ۱۹۸۰ م، ص: ۳۱.
۴. د. فردوس أنور قاضي، اردو افسانہ نگاری کے رجحانات مکتب عالیة، لاہور، الطبعة الأولى ۱۹۹۰ م، ص: ۱۰۹.
۵. د. عبادت بریلوی، "افسانہ اور افسانے کی تنقید" ناظم إدارة أدب و تنقید، لاہور، ۱۹۸۴ م.
۶. ڈاکٹر احمد صغیر: اردو افسانے کا تنقیدی جائزہ (۱۹۸۰ بعد) مطبع عقیف آفسیٹ پرنٹرس، دہلی-۶.
۷. خالد حیدر: پریم چند کے افسانے (حقیقت نگاری اور دیہی زندگی) طباعت ایم-کے-آفسیٹ پرنٹرس، دہلی، ۱۹۹۹.
۸. مسعود رضا خاکی: اردو افسانے کا ارتقاء، مکتبہ خیال اسلام پورہ، لاہور، (ص-۱۱۲) ۱۹۸۷.
۹. مدن گوپال متل: پریم چند کی آپ بیٹی، مطبع ایچ-ایس-آفسیٹ پرنٹرس، نئی دہلی.
۱۰. عظیم الشان صدیقی: افسانہ نگار پریم چند، تنقیدی و سماجی محاکمہ- مطبع عقیف آفسیٹ پرنٹرس، دہلی-۶، اول ۲۰۰۶ء.
۱۱. سلیم اختر: "افسانہ اور افسانہ نگار" سنگ میل پبلی کیشنز، لاہور، ۱۹۹۱ء، ص: ۲۴.
۱۲. شفیق انجم: "اردو افسانہ" پورب اکادمی اسلام آباد، جولائی ۲۰۱۰ء،